الطريق إلى تحقيق زواج مثالي

لقد جاء علم النفس في العصور المتأخرة يوضح أهمية فن الملاعبة أو المداعبة في تحقيق زواج مثالي.

• **يقول (فان ديفيلد) في كتابه (الزواج المثالي):**

في الزواج المثالي يجب أن يكون الجماع منسجمًا في العمل والاستجابة له، ومن ضرورات هذه المشاركة: المساواة في الحقوق، وفي الاستمتاع في (الاتحاد الجنسي) أي الجماع.

ولكي يتمتع الزوجان بالاتحاد الجنسي، لابد من المداعبة أو الملاعبة أولاً، فإهمال الملاعبة يضايق المرأة، ويثير اشمئزازها، بل يؤذيها ايذاءً بدنيًا خاصًا!

وإهمال الملاعبة دليل الغباوة والحماقة، لأن الملاعبة فن غزير اللذات، ولذاته لا تقل عن لذات الجماع.

والألفاظ والنظرات لها أهمية عظمى في التمهيد، لأنها أدل على الإفصاح عن المشاعر والأحاسيس في هذا الدور الباكر حين تكون النفس أكثر من الجسم استعدادًا للتأثر والإثارة.

ومهما بدت هذه الأمور تافهة وصغيرة، فإنها هامة جدًا، ويكفي أن نراجع ما جاء عن ارتباط حاسة الشم بالناحية الجنسية، وما قاله «رسو» عن قوة العاطفة في حجرة الزينة.

إن المداعبة هي تنفيذ الأعمال اللازمة للتمهيد للعلاقات الجنسية في الزواج، وهنا تصير المداعبة بين الزوجين شيئًا منعشًا جميلاً يجدد المشاعر الجنسية.

فيجب أن لا يخلو الجانب الفني العملي في الزواج المثالي من الاهتمام بالمداعبة وإثارة الإعجاب والوله بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب.

وقال أحد علماء النفس الأخصائيين بقضايا الجنس تحت عنوان (المغازلة والمداعبة):

«واعلم أنه لا يكفي أن يستهوي الرجل زوجته ويستعطفها حتى تذعن له مرة واحدة فقط حين يتزوجها، بل يجب أن يلاطفها ويستعطفها ويستهويها عند كل وصال، لأن كل وصال يمثل زواجًا جديدًا.

وإذا كانت الحيوانات العجماء تفعل ذلك، فيجدر بالإنسان أن يفعله أيضًا ـ بل يفعل أكثر منه ـ ويظهر أن هذه الحيوانات أقل جهلاً من الإنسان في هذا القبيل!! إذ لا يمكن أن تتزاوج إلا بعد المغازلة والمداعبة المألوفة في جنسها..»

وقد جاء في أمثال العامة في تفضيل الزوج القبيح الذي يحسن المداعبة على الزوج الجميل الجامد: «وحش لكنه نغش».

وقد أخبر أحد رجال الشرطة أنه عثر على زوجة شابة تزني، وكان لها زوج جميل، فاستغرب هذا الشرطي

صنيعها، فلما سألها عن السبب قالت: «إن زوجها لا يعرف فخذها، فكان دأبه جماعها دون مداعبة مكتفيًا بقضاء شهوته وكفى!!

فعلى الزوج واجب مزدوج: عليه أن يثير الغرام في نفس محبوبته، وأن يفتن لبها ويشغف قلبها حتى يثير عواطفها إلى حد الاستعداد التام للمضاجعة.

وهنا لابد من إعادة ما تقدم من القول، وهو: أن غرام المرأة يتحمس مبدئيًا بوساطة قلبها وعقلها، فالزوج القدير لا يهمل غرامها وعواطفها، حتى يحلق الحب في سماء عقليتهما.

ليس جعل المرأة متأهبة للوصال عملاً إنسانيًا فقط، يراد منها تلافي تألمها، بل هو أمر ذو فائدة عظمى للرجل نفسه، لأنه يحصل به على منتهى اللذة بسبب الإحساس المتبادل بين الجانبين.

وبمناسبة الكلام عن مداعبة الحيوانات، قال الإمام ابن الجوزي في كتابه (الأذكياء) بعد ما وصف تدريب الأبوين من العصافير لأبنائهما، ونجاح ذلك فيتم فرحهما:

«فيبتدئ الذكر بالدعاء ـ أي دعاء أنثاه إليه ـ وتبتدئ الأنثى بالتأني والاستدعاء، ثم ترفق وتتشكل ثم تمتنع فتجيب ثم يتعانقان ويتطاوعان، ويحدث لهما من الغزل والتقبيل والرشف . . ».

دور الفم في المداعبة

الملاعبة أو المداعبة فن هام، يتوقف عليه وجود المتعة واستمرار الحياة الزوجية، وقد نبه إليه الرسول ﷺ قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا بكل صراحة، وأكد عليه كما يظهر من الروايات الحديثية المتعددة.

فقد رُوي عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزوة، فلما رجعنا وكنا قريبًا من المدينة، قلت: يا رسول

الله، إني حديث عهد بعرس، قال: «تزوجت؟» قلت: نعم، قال: «ابكر ام ثيب؟» قلت: بل ثيب. قال: «فهلا بكرًا تلاعبها؟!»، وفي رواية: «هلا بكرًا تلاعبك وتلاعبها، وتعضها وتعضك» (رواه النسائي، وقال: حديث صحيح).

وقد جاء في المثل العامي ما يشير إلى أهمية العض: «القرصة بغضة، ولو كانت من أظافر فضة، والعضة محبة، ولو كانت من أسنان كلبة».

وفي رواية عن جابر: قال لي رسول الله ﷺ: «ما تزوجت؟» فقلت: ثيبًا. فقال: «مالك وللعذارى ولعابها؟!».

جاء في كتاب (التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول) تعليقًا على هذا الحديث ما ملخصه: فلما علم النبي ﷺ بأن جابرًا تزوج ثيبًا قال له: «مالك وللعذارى ولعابها؟!».

أي الأبكار وملاعبتها أو لعابها وهو الريق، إشارة إلى مص ورشف الشفة الذي يحصل عند الملاعبة.

وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عما كان يفعله الرسول ﷺ في أول دخوله بيته، قالت: «السواك».

ولعل ذلك لتنظيف أسنانه عند استقبال أهله بالقبلات الحارة، التي تجلب السعادة وتزيل هموم الحياة.

ويحسن أن يفعل الزوج هذا عند خروجه من داره أيضًا ليتبادل الزوجان المحبة ويتذكرا أنهما على العهد وإن افترقا.

وهذا الحديث يسلط الأضواء على دور الفم في المداعبة، فيا لعظمة النبوة وحكمتها، فقد جاءت العلوم النفسية تثبت روعة ما تحدث عنه من تأثير اللعاب.

فقد قالت (ماري ستوب) الخبيرة النفسية، وهي تعبر عن رغبة أبناء حواء بصراحة مكشوفة:

«على الرجل أن ينادي شفتيها بشفتيه، وإذا لمس من عروسه هذا الاستسلام وتلبية ندائه، فعليه عندئذ أن ينتقل بشفتيه، وأن لا يحصر نشاطهما على شفتيها، ومزج لعابه

بلعابها، وهذا من العوامل التي تثير وتنشط الشعور الجنسي بالتسلط ولا بأس، بل من الضروري الانتقال بشفتيه إلى أمكنه أخرى مثل الأذن والعنق والجيد».

جاء في (عيون الأخبار ـ ٤/ ٨٠) قيل للحجاج: أيمازح الأمير أهله؟ قال: ما تروني إلا شيطانًا؟! والله لربما قبلت أخمص إحداهن!.

فعلى الزوج إذن أن يمازح زوجته قبل الجماع ويلاعبها ويلامسها ويعانقها ويقبلها، ولا يأتيها على غفلة، لقوله ﷺ: «لا يقع أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، ليكن بينهما رسول»، قيل: وما الرسول؟ قال: «القبلة والكلام».

(رواه البيهقي)

وحكمة ذلك أن المرأة تحب من الرجل ما يحب هو منها، فإذا أتاها على غفلة فقد يقضي منها حاجته قبل أن تقضي هي، فيؤدي ذلك إلى تشويشها أو إفساد دينها، والخير كله في السنة، وهي أن لا يأتيها حتى يحادثها ويؤانسها ويضاجعها، ثم يقبل على حاجته.

وفي الحديث: «ثلاثة من العجز: أن يلقى الرجل من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه ونسبه، وأن يكرمه أخوه فيرد كرامته، وأن يقارب الرجل جاريته قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها ويقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها».

(رواه الديلمي)

أيضًا يطلب النبي ﷺ من المسلمة ألا تكون حِشَّية ملقاة (وسادة)، وإنما عروسًا تتلهى بزوجها وتداعبه، كما في حديث الرسول ﷺ لجابر بن عبد الله: «هلا بكرًا تداعبها وتداعبك؟!».

فالمداعبة شيء واجب على الطرفين (تدينًا) كما أوصى - صلى الله عليه وآله وسلم -.

زناد الارتعاش عند المرأة

• جاء في كتاب (تحفة العروس):

وقد خرجت علينا مجلة طبيبك ببحث طريف تحت عنوان: (زناد الارتعاش عند المرأة)، وتقصد بذلك (البظر)

وهو القسم الزائد من الفرج، ويقابل القضيب عند الرجل، وهو عضو غني بالأعصاب، وله شبكة دقيقة من الأوعية الدموية الدقيقة، إذا أثيرت باللمس أو التهيج الجنسي امتلأت بالدم وانتفخ البظر.

والبظر نقطة مركزية لإثارة المرأة من الناحية الجنسية، ووصولها إلى رعشة الجماع.

ومادام (البظر) على مثل هذه الأهمية في حياة المرأة، فعلى كل رجل أن يحرز معرفة تامة بالدور الذي يلعبه (البظر)، وأن يتقن فنون إثارته أثناء المداعبة التي تسبق عملية الجماع، فلابد من الاهتمام بالبظر قبل الإيلاج لتستكمل المرأة شبقها.

وإثارة البظر يجب أن تكون بكل لطف، لأن هذا العضو حساس جدًا إلى حد يكاد لا يصدقه العقل.

إن معظم النساء الطبيعيات يرحبن بمداعبة البظر قبل الجماع، وقد يكون من المستحب استئناف مداعبة البظر

عقب الجماع لاستكمال اللذة عند المرأة، إذ ربما لا تكون قد استنفذت لذتها، ويحدث أحيانًا أن يسبق الرجل فيقذف وتبقى المرأة شبقة متهيجة، فيتركها الرجل وحالها تعاني إثارة البظر، ومداعبته إلى أن يبلغ بالمرأة ذروة اللذة الجنسية وتحس بالرعشة، لذا يسمونه الإنكليز (ملاح القارب).

دروس من مدرسة النبوة

■ المداعبة حتى أثناء الحيض:

• قال ﷺ عن الحائض: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، وفي لفظ: «إلا الجماع» (رواه الجماعة إلا البخاري).

ويعلق صاحب (تحفة العروس) بقوله:

ما أروع حكمة الإسلام، فهو وسط بين ما يعتقده اليهود من تحريم حتى مساكنة المرأة الحائض في غرفة واحدة، وما يعتقده النصارى من إباحة إتيان المرأة في الحيض.

• وورد عن أزواج النبي أنه ﷺ كان إذا أراد من الحائض شيئًا ألقى على فرجها شيئًا ثم صنع ما أراد.

(رواه أبو داود والحافظ العراقي)

■ المداعبة حتى أثناء الغسل:

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه، تختلف أيدينا عليه، فيبادرني حتى أقول: دع لي، دع لي»، قالت: «وهما جنبان».

(البخاري ومسلم وغيرهما)

■ حب نبوي ومداعبة من نوع طريف:

• قالت عائشة رضي الله عنها: «كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيَّ، فيشرب، واتعرَّق العرق[1]، وأنا حائض ثم أناوله النبي ﷺ فيضع على موضع فيَّ».

(رواه مسلم)

---

(١) أكل ما على العظم من لحم.

ويعقب صاحب (تحفة العروس) بقوله: أين هذه المحبة، وهذه المداعبة من امرأة قدَّم لها زوجها تفاحة قد عفها وأكل قطعة منها، فأخذت سكينًا، فقال لها: ماذا تريدين أن تصنعي؟!

قالت: أريد أن أزيل عنها آثار أسنانك. فطلقها!

• وقال ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعامًا، فلا يمسح يده حتى يَلعقَها أو يُلعقَها» (رواه مسلم).

والمراد أن يطلب الرجل من زوجته أن تلعق له أصابعه، إذا لم يلعقها هو بعد الطعام، ولاشك أن لعق الزوجة هذا لأصابع الرجل مداعبة رائعة.

■ مداعبة الزوجة بترخيم اسمها:

الحديث: «يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام». قالت عائشة: «وعليه السلام ورحمة الله وبركاته»، ثم قالت: «وهو يرى ما لا يرى»(*) (البخاري ومسلم).

(*) عائش: ترخيم عائشة.

■ رفع شأن مداعبة الزوجة:

الأحاديث:

• «كل شيء ليس من ذكر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فهو لهو ـ أو سهو ـ إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين[1]، وتاديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعلم السباحة».

(الطبراني، وقال: حديث حسن)

• «كل لهو يلهو به الرجل المسلم باطل، إلا رميه بقوسه، وتاديبه فرسه، وملاعبته أهله».

(رواه النسائي، وقال: حديث صحيح)

ما أعظم هذه الأنواع للهو، فكلها تعود على الأمة الإسلامية بالقوة، وإعداد جيل رياضي وثاب. فإن مداعبة الزوجة؛ أسرع لإنجاب الأولاد، وهم جيش المستقبل.

---

(١) بين الهدفين في الرماية.